الآية ٢٥٥

آية الكرسي

﴿اللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ .

أسباب النزول والمناسبة

المناسبة: ذكر تعالى في الآيات السابقة أن العمل الصالح الفردي هو أساس النجاة، فلا ينفع المال والشفاعة والصداقة والمودة، وأن الرسل صلوات الله عليهم-وإن تفاوتوا في الفضل-إلا أن دعوتهم واحدة ورسالتهم واحدة ودينهم واحد قائم على دعوة التوحيد وصون الفضائل والأخلاق وعبودية الله تعالى، ثمّ جاءت آية الكرسي لتقرر أصل التوحيد وأساس العبادة، ولتحصر الاتجاه بأي عمل نحو الله تعالى، وليستشعر العبد عظمة الله وسلطانه، ويطيع أوامره، ويذعن لأحكامه.

فضل آية الكرسيّ

آية الكرسي لها شأن عظيم، فقد صحّ الحديث عن رسول اللهﷺ بأنها أفضل آية في كتاب الله، عن أُبَيّ بن كَعب: أَنَّ النّبيّﷺ سَأَلَهُ: «أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ أَعْظَمُ؟» قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَرَدَّدَهَا مِرَارًا، ثمّ قَالَ أُبَيٌّ: آيَةُ الْكُرْسِيِّ، قَالَ: «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ لَهَا لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ تُقَدِّسُ الْمَلِكَ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ»[1]. وهي أعظم آية في كتاب الله تعالى، لأنها تتكلّم عن الله تعالى وصفاته وأسمائه وأفعاله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النّبيّ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لا تَعُودُ، ثمّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي

(١) رواه أحمد في مسنده، عن أبي بن كعب، حديث رقم: ٢١٢٧٨، مسند: الأنصار، مسند: حديث المشايخ عن أبي بن كعب، الحديث إسناده صحيح.

كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: ﴿مَا هِيَ﴾، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ- وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ- فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ﴾، قَالَ: لا، قَالَ: ﴿ذَاكَ شَيْطَانٌ﴾[1].

وفي اشتمالها على اسم الله الأعظم، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿فِي هَذِهِ الآيَتَيْنِ ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[2] وَ﴿أَلَمْ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[3] إِنَّ فِيهِمَا اسْمَ اللهِ الْأَعْظَمَ﴾[4].

وفي فضل قراءتها بعد الصّلاة المكتوبة، ما روي عن أبي أمامة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ﴾[5].

وقال ﷺ: ﴿مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ الصَّلاةِ المَكْتُوبَةِ كَانَ فِي ذِمَّةِ اللهِ إِلَى الصَّلاةِ الأُخْرَى﴾[6].

وعن عائشة ﷺ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَشَكَا إِلَيْهِ أَنَّ مَا فِي بَيْتِهِ مَمْحُوقٌ مِنَ البَرَكَةِ، فَقَالَ: ﴿أَيْنَ أَنْتَ مِنْ آيَةِ الكُرْسِيِّ، مَا تُلِيَتْ فِي شَيْءٍ عَلَى طَعَامٍ وَلا إِدَامٍ إِلا أَنْمَى اللهُ ذَلِكَ الطَّعَامَ وَالإِدَامَ﴾[7].

وعن أنس بن مالك ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ قَرَأَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ آيَةَ الكُرْسِيِّ، حُفِظَ إِلَى الصَّلاةِ الأُخْرَى، وَلا يُحَافِظُ عَلَيْهَا إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ﴾[8]. أي: لا يُوَفَّق للمحافظة على قراءة آية الكرسيّ على الدَّوام بعد كلِّ فريضة، إلَّا كلُّ موفّق.

المعنى العام

وهذه الآية مشتملة على عشر جمل مستقلّة:

فقوله: ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إخبار بأنّه المنفرد بالإلوهيّة لجميع الخلائق.

وقوله: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ أي: الحيّ في نفسه، الذي لا يموت أبدًا، القيّم لغيره.

وقوله: ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ أي: لا يعتريه نقص، ولا غفلة، ولا ذهول عن خلقه، بل هو قائم على كلّ نفس بما كسبت، شهيد على كلّ شيء، لا يغيب عنه شيء، ولا يخفى عليه خافية، ومن تمام القيّوميّة أنّه لا يعتريه سِنَةٌ ولا نوم فقوله: ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾ أي: لا تغلبه سِنَةٌ، وهي الوَسَنُ والنُّعاس، ولهذا قال: ﴿وَلا نَوْمٌ﴾ لأنّه أقوى من السِّنَة، فعن أبي موسى ﷺ، قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ- وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ﴾[9].

وقوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ إخبار بأنّ الجميع عبيده، وفي ملكه، وتحت قهره وسلطانه كقوله: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٢٣١١، كتاب: الوكالة، باب: إذا وكل رجلًا، فترك الوكيل شيئًا فأجازه الموكل فهو جائز.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢.
(٤) رواه أحمد في مسنده، عن أسماء بنت يزيد، حديث رقم: ٢٧٦١١، مسند: القبائل، مسند: من حديث أسماء بنت يزيد.
(٥) رواه النّسائيّ في عمل اليوم والليلة، عن أبي أمامة، حديث رقم: ١٠٠، باب: ثواب من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة، الحديث صحيح.
(٦) رواه الطّبرانيّ في المعجم الكبير، عن الحسن بن علي عن أبيه، حديث رقم: ٢٧٣٣، باب: الحاء، ابن حسن بن حسن بن علي عن أبيه، الحديث إسناده حسن.
(٧) رواه ابن سمعون في أمالي ابن سمعون، عن عائشة، حديث رقم: ٢٣٨، باب: أول المجلس الخامس عشر.
(٨) رواه البيهقيّ في شعب الإيمان، عن أنس بن مالك، حديث رقم: ٢١٧٥، كتاب: فصل في فضائل السور والآيات، باب: تخصيص آية الكرسي بالذكر.
(٩) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي موسى، حديث رقم: ١٧٩، كتاب: الإيمان، باب: في قوله عليه السلام: إن الله لا ينام.

﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا* لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا*وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[1].

وقوله: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ كقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[2] وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه ﷻ، أنّه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده، إلّا بإذنه له في الشّفاعة، كما في حديث الشّفاعة: «فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ لِي: ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ»[3].

وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، كقوله إخبارًا عن الملائكة ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[4].

وقوله: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ أي: لا يطّلع أحد على شيء من علم الله إلا بما أعلمه الله ﷻ وأطلعه عليه، وكذلك لا يطّلعون على شيء من علم ذاته وصفاته، إلا بما أطلعهم الله عليه كقوله: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[5].

وقوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ عن ابن عبّاس ﷺ، في قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ "قال: علمه... وقال ﷺ لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ بُسِطْنَ، ثُمَّ وُصِلْنَ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضٍ، مَا كَانَ فِي سِعَتِهِ- يَعْنِي: الْكُرْسِيَّ- إِلَّا بِمَنْزِلَةِ الْحَلَقَةِ فِي الْمَفَازَةِ... وعن أبي مالك: الكرسيّ تحت العرش، وقال السدّيّ: السّماوات والأرض في جوف الكرسيّ، والكرسيّ بين يديّ العرش"[6].

وقوله: ﴿وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ أي: لا يثقله، ولا يتعبه حفظ السّماوات والأرض، ومن فيهما ومن بينهما، بل ذلك سهل عليه، يسير لديه، وهو القائم على كلّ نفس بما كسبت، الرّقيب على جميع الأشياء، فلا يعزب عنه شيء، ولا يغيب عنه شيء، والأشياء كلّها مُسخرة بأمره، متواضعة ذليلة صغيرة بالنّسبة إليه، محتاجة فقيرة، وهو الغنيّ الحميد، الفعّال لما يريد، الذي لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون، وهو القاهر لكلّ \شيء، الحسيب على كلّ شيء، الرّقيب العليّ العظيم، لا إله غيره ولا ربّ سواه.

وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ كقوله: ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾[7] وهذه الآيات وما في معناها من الأحاديث الصّحاح، الأجودُ فيها طريقة السّلف الصّالح: أَمِرُّوها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه.

وقد ورد أنّه إسم الله الأعظم، وقال ﷺ لفاطمة ﷺ: «مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ، وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»[8].

مختصر العقيدة في تفسير آية الكرسي

آية الكرسيّ: تتكلّم عن الله تعالى وصفاته وأسمائه. وقد ذُكِرَ الله تعالى فيها في سِتَّةَ عَشَر موضِعًا، سَواء كان بالاسم صراحة أو بالضّمير أو بالضّمير المستتر: ﴿اللهُ (١) لا إِلَهَ إِلَّا هوَ (٢) الحيُّ (٣) القيُّومُ (٤) لا تأْخُذُهُ (٥) سِنَةٌ وَلا نَوْم، لَهُ (٦) ما في السَّماواتِ وما في الأَرضِ مَنْ ذا الّذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ (٧) إِلَّا بِإِذْنِهِ (٨) يَعْلَمُ (ضمير مستتر، هو) (٩) ما بَيْنَ أيديهم، وما خَلْفَهُم، ولا يُحيطونَ بِشَيْءٍ مِن عِلْمِهِ (١٠) إِلَّا بِما شاءَ (ضمير مستتر، هو) (١١)، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ (١٢) السَّماواتِ والأَرضَ ولا يَؤُودُهُ (١٣) حِفْظُهُما وَهُوَ (١٤) العَلِيُّ (١٥) العَظيمُ (١٦)﴾

(١) سورة مريم، الآيات: ٩٣- ٩٥. (٢) سورة النجم، الآية: ٢٦.
(٣) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أنس، حديث رقم: ٧٤١٠، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾.
(٤) سورة مريم، الآية: ٦٤. (٥) سورة طه، الآية: ١١٠.
(٦) ذكره إبن أبي حاتم في تفسيره، عن ابن عبّاس، باب: قوله ﴿وَسِعَ كُرسِيُّهُ السَّمَواتِ والأَرض﴾، ج٢، ص٤٩٠- ٤٩١.
(٧) سورة الرعد، الآية: ٩.
(٨) رواه الحاكم في المستدرك، عن أنس بن مالك، حديث رقم: ٢٠٠٠، كتاب: الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر، باب: وأما حديث رافع بن خديج، الحديث صحيح.

شرح معنى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: الله لا شريك له وهذه صفة: الوحدانيَّة.

لِكَيْ نفْهَمَ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، علينا أن نفهم معنى كلمة التوحيد: "لا **إله** إلَّا الله "

فمن أسماء الله الحسنى التِّسعة والتّسعين نجعل كلَّ اسم مكان كلمة "إله" في جملة "لا **إله** إلَّا الله" ليصبح معناها:

لا **رازق** إلَّا الله، لا **رحمنَ** إلَّا الله، لا **رحيمَ** إلَّا الله، لا **قيُّومَ** إلَّا الله،

لا **معطيَ** إلَّا الله، لا **مانعَ** إلَّا الله، لا **مُعِزَّ** إلَّا الله، لا **مذلَّ** إلَّا الله،

لا **موجودَ** إلَّا الله، لا **عليمَ** إلَّا الله، لا **ضارَّ** إلَّا الله، لا **نافِعَ** إلَّا الله، لا **حيَّ** إلَّا الله،

لا **سميعَ** إلا الله، لا **بَصِير** إلَّا الله، لا **قوي** إلَّا الله، لا **عظيم** إلَّا الله

إذًا نضع مكان كلمة "**إلهَ**" اسمًا من التِّسعة والتّسعين اسمًا من أسماء الله الحسنى.

وكذلك الأمر في شرح "**الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** " **نضع مكان كلمة "إله"** اسمًا من أسماء الذَّات، أو اسمًا من أسماء الصِّفات، أو اسمًا من أسماء الأفعال، فيصبح معناها: الله لا **رحمنَ** إلَّا هو، الله لا **رحيمَ** إلَّا هو، الله لا **قدّوسَ** إلَّا هو، الله لا **سميعَ** إلَّا هو، الله لا **قيُّومَ** إلَّا هو، الله لا **معزَّ** إلَّا هو، الله لا **مُعطِيَ** إلَّا هو، الله لا **مُذِلَّ** إلَّا هو، الله لا **مانِعَ** إلَّا هو، الله لا **رافِعَ** إلَّا هو، الله لا **خافِضَ** إلَّا هو، وهكذا...

فهي قد جمعت معاني التَّوحيد، وأنَّ الله تعالى:

- واحدٌ في ذاته. - واحدٌ في صفاته. - واحدٌ في أفعاله.

لأنَّ أسماء الله الحسنى تُقسم إلى:

١- أسماء ذات.

٢- أسماء صفات.

٣- أسماء أفعال.

إنّ أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين هي بعدد التسبيحات التي يُسنُّ ذكرها بعد كل صلاة فمنها:

٣٣ اسمًا من أسماء **الذَّات**. مثل: **العظيم، القدُّوس، السَّلام، الواحد، الأحد، الصّمد.**

٣٣ اسمًا من أسماء **الصِّفات**. مثل: **الكريم، السَّميع، البصير، الحليم، الحيُّ، العليم، اللطيف، الخبير، الحكيم.**

٣٣ اسمًا من أسماء **الأفعال**. مثل: **المعزُّ، المذلُّ، المحيي، المميت، المعطي، المانع، القابض، الباسط، الخافض، الرَّافع، الضّار النّافع.**

شرح معنى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القيُّومُ﴾

١- شرح معنى: ﴿الحَيُّ﴾

من صفات الله تعالى ومن أسمائه اسم الله ﴿الحَيُّ﴾، لأنَّ: الله تعالى موصوف بالحياة، ولكنّ حياة الله تعالى لا تشبه حياة أحَدٍ من خَلقِهِ، فحياة الله تعالى ليس كَمِثلِهَا شَيءٌ، ليس لها بداية، وليس لها نهاية، بينما حياة المخلوقات لها بدايةٌ ونهاية.

- الله تعالى هو من يهب الحياة للمخلوقات، فيتجلَّى باسمه الحيّ على الأشياء فتحيا. فهذا المخلوق كان عدمًا قبل أن يُخلَق، ثمّ خلقه الله تعالى فأوجده ميتًا ثمّ أحياه، ثمّ يُميته. فحياة المخلوقات لها بدايةٌ ونهاية.

- كما أنّ هناك مخلوقاتٍ كتب الله تعالى عليها البقاء فلا تفنى، مثل أرواح بني آدم، ومثل أهل الجنَّة في الجنَّة، لكن هذه المخلوقات أيضًا لها بداية.
- كما أنّ حياة المخلوقات تحتاج إلى مقوِّمات، فهي تحتاج إلى ماء، هواءٍ، غذاءٍ، وأشياء أخرى. أمَّا حياة الله تعالى فلا تحتاج إلى شيء. فالله تعالى حيٌّ، ولا يَحتاجُ لشيء، لأنَّه هو خالق كلِّ شيء.

الله تعالى كان موجودًا ولم يكن موجودٌ آخر معه.

لم تكن سماءٌ، ولا أرضٌ، ولا عرشٌ، ولا كرسيّ. لم يكن طعامٌ، ولا هواءٌ، ولا شرابٌ، ولا أيّ شيءٍ آخر، الله تعالى هو الموجود وليس ثمَّة موجود آخر معه، ثمّ خلق الله تعالى الخلق، فخلق العرش، وخلق السَّماوات والأرض، وما فيها من الهواء، والطَّعام، والشَّراب، وما إلى ذلك...

كلُّ هذه المخلوقات هي مخلوقاته تعالى تحتاج إليه ولا يَحتَاجُ إليها في شيء،

فهو الحيُّ بحياةٍ ليس كمثلها شيء:

- ليس لها بداية - وليس لها نهاية - ولا تحتاج إلى شيء.

﴿القَيُّومُ﴾ هو الغنيُّ عن كلِّ ما سواه، المُفتَقِرُ إليه كلُّ ما عداه، أي أنّه هو الغنيّ عن كلِّ مخلوقاته، ولا يحتاج إلى شيء، وكلّ مخلوقاته بحاجة إليه في كلِّ شيءٍ وعلى الدَّوام. وهو الذي لا يزول، وهو قائمٌ على جميع شؤون مخلوقاته، يُدَبِّرُ أمْرَهم، فكلّ شيءٍ في الوجود قائمٌ بِهِ، وهو تعالى قائم بذاته.

الخلاصة: الله سبحانه وتعالى ما خلق مخلوقًا إلَّا وله حاجات. فكلُّ المخلوقات، كالحجر والشَّجر وغيرها، منها ما يحتاج إلى جاذبيّة، ومنها ما يحتاج إلى هواء، أو قوّة، أو...

مثلًا: الحجر مؤلّف من جزيئات متباعدة عن بعضها بمسافة معيّنة، فما الّذي يجعلها بهذا الشّكل؟ يقول علماء الفيزياء هناك قوّة تبقي الجزيئات متباعدة عن بعضها هذه المسافة المحدّدة، فما مصدر هذه القوّة يا ترى؟ أنّها مدد من الله تعالى القويّ، وهذا من معاني "**لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلّا بالله**".

فالله سبحانه وتعالى لو قطع مدد القوّة عن الجزيئات المتباعدة لالتصق بعضها ببعض فتلاشى الحجر.

وجسم الإنسان كذلك، والبناء و الشّجر، والبحر، وكلُّ شيء آخر.

كلُّ شيء قائمٌ بإمداد الله ﷻ على الدَّوام، فهو قائمٌ على جميع شؤون خلقه على الدَّوام.

وكلُّ المخلوقات بحاجة إلى الله تعالى على الدَّوام، القوّة تأتي من القويّ ﷻ والمدد الإلهيّ منه، فإذا قُطع المدد عن المخلوقات يتلاشى الحجر، أو البناء، أو الجسم، أو القمر، أو الشَّمس، وكلُّ ما قَطَعَ الله عنه الإمْدَادَ يتلاشى. وفي كلّ لحظةٍ إيجادٌ وإمْدَادٌ.

شرح معنى (المدد): لنفهم معنى "المدد" سنضرب مثلًا عن الكهرباء. الكهرباء تشغّل التّلفاز، أو المصباح، أو أيّ شيء يعمل بها. هناك مدد، فإذا انقطع مدد الكهرباء انقطع بثُّ التِّلفاز، وذلك لأنَّه يحتاج إلى مددها، والكون بأكمله قائمٌ بالمدد الإلهيّ.

مثلًا: عَيْنُكَ أيُّها الإنسانُ لا تَرَى إلَّا إذا أمَدَّها الله بنورِ البَصَرِ على الدَّوام، وليسَ هناك عينٌ خَلقَها الله تعالى ترى، إلَّا بالمدد الإلهيّ.

مفهوم هام جدًّا: الله تعالى يخلق النَّتيجة عند السَّبب.

فلولا أنّ الله تعالى يمدُّك بنور البصر لا تبصر. ولولا أنّ الله تعالى يمدّك بنور السَّمع لا تسمع. ولولا أنّ الله تعالى يمدّك بنور الفَهم لا تفهم.

وهذا معنى حديث النّبيّ ﷺ ودعائه: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا» [1].

أنت بحاجة إلى المدد الإلهيّ على الدَّوام.

مثلًا: إذا كان المصباح تالف لا يعمل، ثمّ مددناه بالكهرباء فلن يضيء. وإذا كان المصباح يعمل بشكل جيّد، ولكن لا يُوجَدُ كهرباء فالمصباح أيضًا لن يضيء. إذًا أنتَ بِحَاجَةٍ إلى:

- مِصْباحٍ يَعمَلُ بشكلٍ جَيِّدٍ. - وإلى وجود كَهْرُبَاءَ، لتضيئَهُ.

مثال آخر: مهمَّة طبيب العيون أن يداوي عينك، بحيث إذا جاء نور البصر يمكنك أن ترى إذا شاء الله تعالى. ولكن نور البصر من الله. ونور السَّمع من الله، ونور الفَهم من الله، **وكُلُّ شيءٍ بإمداد من الله** ﷻ.

النّتيجة: الله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى شيءٍ من خلقه، فهو قائمٌ على جميع شؤون خلقه على الدَّوام، وليس هناك مخلوق من مخلوقات الله يستغني عن الله تعالى طرفة عين.

معنى (الإمداد): لو أتينا بورقة ووضعناها في النّار، فإنّها سوف تحترق.

س: هل النَّارُ تَحرقُ بِطَبْعِهَا أمْ بالقُوَّةِ المُودَعَةِ فيها؟ أم أنَّ النّار لا تحرق ولكن الله تعالى خلق فعل الإحراق عندما وضعنا الورقة فيها فاحترقت؟

ج: ثمّة ثلاثة أقوال:

القول الأوّل: النّار تحرق بطبعها.

وهذا قول الطَّبائعيّين، أي: قول الّذين يقولون أنّه لا يوجد خالق، ولا يوجد مدبّرٍ لهذا الكون، إنّما هي الطَّبيعة. وهذا قول الكفّار الملحدين.

القول الثّاني: النّار تحرق بقوّة أودعها الله فيها.

فالمعتزلة قالوا بهذا القول وقد أخطأوا، لأنّه **لم يفهموا معنى اسم الله القيُّوم.**

فقد ظنَّ أنَّ الله تعالى خلق النّار وأودع فيها قوّة الإحراق، فإذا وضعنا الورقة في النّار فإنَّ قوّة الإحراق الّتي أودعها الله في النّار تحرق الورقة، وعندئذ- حسب قوله- إذا أراد الله تعالى أن يُبطل الإحراق من النّار نزع منها قوّة الإحراق. وهذا الكلام يتعارض مع إسم الله تعالى **القيُّوم**.

القول الثّالث: وهو القول الصّحيح:

إنَّ النّار لا تحرق بطبعها، ولا تحرق بقوّة أودعها الله فيها، ولكن الله تعالى شاء أنّه كلّما وضع أحدهم ورقة في النّار، خلق تعالى الإحراق في النّار فتحترق الورقة.

أي أنّ **فعل الإحراق** حصل في تلك اللحظة: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [2]؛ فليس هناك من حدث، وليس هناك تغيير يحصل في هذا الكون إلّا بقول: **"كن فيكون"**.

هذه الورقة لم تكن محروقة. لن تحترق إلّا بـ **"كن فيكون"**.

مثال للتّوضيح: إذا أنشأ شخصٌ معملًا، فهو في أوّل الأمر يبدأ بمعمل صغير، ويكون هو المشرف على كلّ التّفاصيل، فهو الذي يصنّع المنتَج، ويصنع غلافه، ويقوم بأعمال التّسويق والمحاسبة... فالمعمل صغيرٌ ووقته وجهده يكفيان. ثمّ يكبر المعمل

(١) رواه الطّبرانيّ في المعجم الكبير، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ١٠٦٤٩، باب: العين، علي بن عبد الله بن عبّاس عن أبيه.
(٢) سورة يس، الآية: ٨٢.

قليلًا، فلا يعود قادرًا على إنجاز كلِّ الأمور بنفسه، فيستعين بموظف للتَّسويق، وآخر لصنع الغلاف وآخر للمحاسبة... وكلَّما كَبُرَ المعمل أكثر، أدرك عجزه عن القيام بكلِّ المهمّات وحاجته للمزيد من العمّال والمعدّات. بالإضافة لذلك، فهو لا يستطيع أن يعمل طوال الوقت، لأنّه:

- يحتاج إلى راحةٍ ونوم.
- يحتاج إلى طعامٍ وشراب.
- ويحتاج أن يأخُذَ إجازةً سنويّة يرتاح فيها من عناء الشّغل.

عندئذٍ لا بدَّ أن يأتي بشخصٍ عند غيابه يكون نائبًا عنه في إدارة المعمل.

كلُّ ذلك لأنّ الإنسان يتعب، ويحتاج إلى الرّاحة، فقدرته محدودة، ولا يستطيع أن يفعل ما يفعله كلُّ هؤلاء الموظفين في وقتٍ واحد.

أمّا الله جلّ في علاه فليس كذلك. ولله المَثَلُ الأعلى.

الله تعالى لا يشغله شأنٌ عن شأن، وهو سبحانه يقوم بشؤون كلّ مخلوقاته في الوقت عينه ولا يشغله شيء عن شيء.

إنّ جميع المخلوقات كالإنسانِ، والملائكةِ، والجنِّ، والحشراتِ، والطُّيورِ، والحيواناتِ، والسَّمكِ في البحار، والمخلوقاتِ في السَّماءِ الأولى، والثَّانية، والثَّالثة... والسَّابعةِ، والمخلوقاتِ في عالم الكرسيِّ، والمخلوقاتِ في عالم العرش، والمخلوقات في عالمِ الخيال، والمخلوقات في عالمِ المثال، والمخلوقات في العوالم الّتي **لا يَعلمُ عَدَدَها إلَّا الله، كلّها قائمة بالله تعالى.**

فالله تعالى قائمٌ بتدبير شؤون هذه المخلوقات كلِّها على الدَّوام. لذا قال تعالى: ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾، لأنّه لا أحد يعلم عدد هذه العوالم **إلَّا الله تعالى**. فالله تعالى لا يشغَلُهُ شأنٌ عن شأنٍ، ولا يُتْعِبُه، ولا يَؤُودُهُ حِفْظُ هذه المخلوقات جميعًا، فهو قَائِمٌ عليها جميعًا في الوقت عينه، **هو: الله القيُّوم.**

خلاصة شرح ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾:

(الحيُّ): أي منه سبحانه الحياة، ويتجلَّى باسمه الحيّ على الأشياء فتحيا.

(القيُّوم): هو الغنيّ عن كلِّ مخلوقاته، ولا يحتاج إلى شيء وكلّ مخلوقاته بحاجة إليه في كلّ شيء. وهو الذي لا يزول وقائمٌ على كلّ شيء ويُدَبِّرُ أمْرَ خَلْقِهِ، وكلّ مخلوقاته بحاجة إليه في كلِّ شيءٍ وعلى الدَّوام، وكلّ شيءٍ في الوجود قائمٌ بِهِ.

شرح معنى: ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾

وصف الله تعالى نَفْسَهُ بأَنَّهُ القيُّوم ثمّ أتْبَعَ ذلِكَ بقوله: ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ لأنَّه القائم على جميع شؤون خلقه على الدَّوام.

ماذا لو أخذته سِنة؟ لنفترض ذلك من باب الجدل العقلي وهو محال على الله تعالى.

والسِّنَةُ: النُّعاس ما قبل النّوم.

والّذي يأخذه النُّعاس يفقد التَّركيز، وإذا فقد التَّركيز فماذا سيحصل للمخلوقات أو للأشياء التي هو يمسكها ويمدّها؟ تتلاشى وتنعدم. فما بالك لو كان تعالى يأخذه النّوم. فسبحانه وتعالى وجَلَّ وعَزَّ وتَنَزَّهَ عن ذلك.

لذا وصف الله تعالى نفسه بـ **القيُّوم**، أي: لا تأخذه سِنةٌ، ولا يصاب بالنُّعاس، ولا بالتَّعب. ولا يأخذه **النّوم**، فهو القائمُ على جميع شؤون خلقه على الدَّوام.

شرح معنى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾

كلّ ما في السَّماوات وما في الأرض هو له: **مُلْكًا، وتَصْرِيفًا، وتدبيرًا.**

﴿لَهُ ما في﴾ لفظة "ما" تشمل العاقِلَ، وغَيرَ العَاقِلِ.

- فهناك مخلوقاتٌ عاقِلَةٌ: كالإنسان والملائكة.

- وهناك مخلوقات غَيرُ عاقِلةٍ: كالشَّجر والحجر والماء والهواء.

و﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[1]. أي أعطى كلّ مخلوق المهام المنوطة به ثمّ هداه لتنفيذها.

شرح معنى: ﴿مَنْ ذا الَّذي يَشْفَع عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾

زعم كفّار قريش أنّهم يعبدون الله، وأنّ الأصنام ليست إلَّا شفعاء لهم عند الله. وكثيرٌ من النَّاس اليوم ما زال يتَّخذ شفعاء عند الله، كما فعل كُفَّارِ قُريش، إنّما بصورٍ مُختَلِفةٍ، قَدْ تكون الطّاعة الّتي أدّاها، أو الصَّدقة الّتي دفعها، أو العمل الخيريّ الّذي فعله، فيظنُّ أنّ هذا سيشفع له عند الله. والله تعالى يقول: **﴿مَنْ ذا الَّذي يَشْفَع عِنْدَهُ إِلّا بِإِذْنِهِ﴾.**

فائدة: لا بدّ أن يرضى الله تعالى عنك ليتقبّل عملك الصَّالح. لأنَّه إن لم يرضَ عنك لن يقبله منك، لما قد يخالط عملك من رياءٌ، أو منٌّ. قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾**[2] فإذا عملت عملًا صالحًا في الظّاهر، دون أن يكون فيه إخلاصٌ أو صدق، فكيف تظنَّ أنَّ هذه الأعمال سوف تشفع لك عند الله تعالى؟ فقد قال تعالى: **﴿وَقَدِمْنا إِلىٰ ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَّنثُورًا﴾**[3]

نصيحة: إذا أردت الشَّفاعة عند الله تعالى فاطلب ما يُرضيه، والله تعالى يُرضيه أن تكون له عبدًا خالِصًا لهُ.

ما هو السّبيل إلى ذلك؟

١- إذا عصيتَ فبادِرْ بالتَّوبةِ والاستغفارِ.

٢- اشكُرِ الله تعالى على نِعَمِه.

٣- لا تعترِضْ على قضائه وقدره، وارضَ بما قسمه لك، وعَليكَ أن ترى أنَّ الحكمةَ فيما قَدَّرَهُ وقضاه لا فيما ترجوه، أو يوافِقُ هواكَ. فإذا كنتَ عبدًا خالصًا، ومُخلصًا لله، أحبَّك الله.

س: من هم الأشخاص المؤهّلون أن يشفعوا لنا عند الله تعالى؟

ج: هم أحباب الله تعالى، النّبيّ الأكرم ﷺ، والأنبياء، والأولياء، والشّهداء، والصّالحون، هؤلاء يأذن الله لهم بالشَّفاعة لمن شاء.

تذكرة: أرادَ سيّدنا إبراهيم عليه السلام أن يشفع لعمّه "آزر"- وآزر هو عمُّه وليس أباه - لكنّ الله تعالى لم يرضَ بهذه الشَّفاعة، ولم يأذن بها.

النّبيّ ﷺ إذا أراد أن يشفع لأحد، لا تمضي هذه الشَّفاعة إلَّا بإذنه تعالى. فالله تعالى هو الفعَّال لما يريد ﷻ. فلا نبيٌّ ولا مَلكٌ، ولا مَخلوقٌ له على الله سبحانه وتعالى شَفاعَةٌ أو وَساطَةٌ. إنّما هو المُريد، وهو الفعَّال لما يريد، وهو المختار سبحانه وتعالى. إن أراد أن يكرم عبدًا، أذن له بالشَّفاعة وخصَّص له لمن يشفع. قال رسول الله ﷺ: **«شَفاعَتِي لِأَهْلِ الكَبائِرِ مِنْ أُمَّتِي»**[4].

فما بالك بالصّالحين من أمّته. فشفاعته ﷺ للصّالحين من أمّته بأن يرفع الله تعالى قدرهم ويزيدهم قربًا منه، وللعُصاة بأن يغفر الله تعالى ذنبهم ويدخلهم الجنّة، ولأهل الكبائر بأن يخفّف الله تعالى عنهم ومن ثمّ يدخلهم الجنّة.

(١) سورة طه، الآية: ٥٠. (٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤. (٣) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

(٤) رواه أبو داود في سننه، عن أنس بن مالك، حديث رقم: ٤٧٣٩، كتاب: السنة، باب: في الشفاعة، الحديث إسناده صحيح.

س: هل يشفع نبيُّنا ﷺ لكافر؟

ج: لا، فالنّبيّ ﷺ شَفاعَتُه محصورة في الإذن الإلهيّ لمن شهِدَ أن «لا إلهَ إلّا الله وأنَّ سيّدنا مُحمّدًا رسول الله» ومات عليها.

وكذلك الأمر بالنّسبة للأنبياء والأولياء. فهو تعالى المتصرِّف بكونه، ولا يكون في كونه إلَّا ما أراد.

شرح معنى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾

﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ما جرى في عالم الدُّنيا.

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: ما سيكون في عالم الغيب.

كلُّ شيء يعمله الإنسان في عالم الدُّنيا له تأثيرات في عالم آخر اسمه عالم المثال.

ودليل ذلك: قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[1]

وقول النّبيّ ﷺ للسّيّدة عائشة رضي الله عنها: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ»[2] "[3].

مثلًا: إذا اغتاب زيدٌ عَمرًا، يكون زيدٌ نفسه موجودًا في عالم المثال، وصورته أنّه يأكلُ لحم عمرو ميتًا. أنت لا ترى هذا الأمر، وترى طرفًا بسيطًا من عالم الشّهادة الّذي تعيش فيه: وهو عالم الدُّنيا. أمَّا العوالم الأخرى فكما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[4].

من معانيها أنّهم عن العوالم الأخرى ﴿غَافِلُونَ﴾.

أنت ترى الظّاهر فقط. وماذا ترى في عالم الرُّوح؟ ماذا ترى في عالم السِّرّ؟ ماذا ترى في عالم المثال؟

س: ما هو عالم المثال؟

ج: عالم المثال هو العالم الذي رآه النّبيّ ﷺ في رحلة المعراج.

أمثلة عن أشياء رآها النّبيّ ﷺ في رحلة المعراج:

١- رأى الّذي يَسْبَحُ في بحرٍ من الدَّم، فسأل جبريلَ من هذا؟ قال: **هذا الّذي يأكل الرِّبا.**

تنبيه: فالرِّبا قد يُشعل حروبًا، فهل نتفكّر في أسباب الحروب العالميّة كلِّها: الأولى، الثّانية وربّما الثّالثة؟ كان وراءَها الدّوافع الإقتصادية والرِّبا.

٢- ورأى آخَرَ يأكُلُ الحِجارَةَ، فقال: من هذا يا جبريل؟ قال: **هذا الّذي يأكلُ أموالَ اليتامى ظُلمًا.** واليوم الّذي يمسكُ لُقْمَةً ويأكُلُها مِن مالِ يتيمٍ هو في عالم المثال يأكُلُ الحجارة.

الخلاصة:

١- في معنى: ﴿يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ﴾:

فالله تعالى وحده ﴿يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ما في عالم الدُّنيا، ﴿وَما خَلْفَهُمْ﴾ أي في العوالم الأخرى، ومنها عوالم الغيب.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ يعني: عن العوالم الأخرى ﴿غَافِلُونَ﴾.

٢- معنى آخر لقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ﴾

﴿يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: حاضرهم ومستقبلهم.

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.
(٢) أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه أو ريحه؛ لشدة قبحها.
(٣) رواه أبو داود في سننه، عن عائشة، حديث رقم: ٤٨٧٥، كتاب: الأدب، باب: في الغيبة، الحديث إسناده صحيح.
(٤) سورة الرّوم، الآية: ٧.

﴿وَما خَلْفَهُمْ﴾ أي: ماضيهم.

فالله تعالى يعلم من الأزَلِ إلى الأبَدِ كلَّ شيء، ولا يَعزُب عن علمه- لا يغيب عن علمه ولا يخفى عليه- شيءٌ في جميع العوالم، وفي جميع الشُّؤون، أحاط علمه بكلِّ شيءٍ من الأزل إلى الأبَدِ. وعِلم الله تعالى غير مستجدّ...

س: ما معنى غير مستجدٍّ؟

ج: إنّ علمَنا كبشرٍ مستجدٌّ، وفي كلِّ يومٍ نتعلَّم معلومةً جديدةً. والله تعالى يعلم كلَّ شيءٍ أزلًا.

والله تعالى يعلم ما كان أي ما حصل وما سيكون أي ما سيحصل، وكيف سيحصل إلى أبد الآبدين.

والله تعالى يعلم كلَّ شيءٍ أزلًا، لأنَّ الله تعالى لا يحدُّه زمان فهو خالق الزَّمان وخالق المكان. ونحن مخلوقات في زمان، ويجري علينا الزّمان.

فنحن مثلًا لا نستطيع أن نرى ماذا سيحدثُ غدًا، لأنّنا نعيشُ في زمان محدّد. أمّا الله تعالى خالقُ الزَّمان، فهو سبحانه يرى ويعلم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

- يعلم الله تعالى **ما كان**، أي: كلّ شيءٍ حصل في الماضي يعلمه الله تعالى.

- ويعلم الله تعالى **ما سيكون**، أي: كلّ شيء سيكون في المستقبل يعلمه الله تعالى.

- ويعلم الله تعالى **ما لم يكن، لو كان كيف سيكون**، أي: يعلم الله ﷻ أنّك مثلًا، إذا مرضت وأخذت دَواءً معيّنًا أنّك ستشفى، ويعلم ما كان سَيَحْدُث إن لَمْ تَأْخُذْهُ.

قصّ تعالى علينا ثلاثة أمثلة في قصّة سيّدنا الخضر مع سيّدنا موسى-عليهما السّلام-، تشرح معنى أنّ الله تعالى يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون، قال تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا* وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا* فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا* وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[1].

النّتيجة: إذًا، يعلم ما كان في الماضي، وما سيكون في المستقبل، وما لم يكن لو كان، كيف سيكون. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ، وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾.

شرح معنى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾

ومن حضرة اسم الله تعالى القهّار، **قهرُ العقول**، فيمنعَها من الوصول إلى كُنْهِ حقيقته سبحانه وتعالى. كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[2].

لا يوجد مخلوق من مخلوقات الله تعالى يعلم شيئًا، ولا حتّى النّبيّ الأكرم ﷺ، ولا الأنبياء، ولا الملائكة، ولا أيّ أحد، إلّا ما عَلَّمَهُ له الله، أو خَصَّهُ بِعِلْمٍ كالنّبيّ ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾[3] وقال رسول الله ﷺ: ((أُوتِيتُ جَوامِعَ الكَلِمِ))[4].

ولكن كما قال الخضر لموسى ﷺ: "ما علمي وعلمك إلّا كما أخذ هذا الطّائر من البحر"

خلقهم الله تعالى لا يعلمون شيئًا، ثمّ أمدَّ الله تعالى من شاء من خلقه، بما شاء من العلوم. وكلُّ مخلوقٍ يعلم من العلوم الّتي

(١) سورة الكهف، الآيات: ٧٩-٨٢. (٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥. (٣) سورة النّساء، الآية: ١١٣.
(٤) رواه أحمد في مسنده، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٧٤٠٣، مسند: المكثرين من الصّحابة، مسند: أبي هريرة رضي الله عنه، الحديث صحيح.

يُمده الله تعالى بها. فإذا قطع تعالى مدده عن هذا الإنسان بهذا العلم انقطع علمه به. فأنت لا تعلم شيئًا، ولكنّ الله تعالى يُمِدُّك بالعلم فتعلم، لأنّه تعالى هو العليم.

حادثة حصلت: وقف شيخ القرّاء[1] في إحدى الدُّول الإسلاميّة في مسجدها الكبير، ليُصلّي صلاة الجمعة، فَأُرتِجَّ[2] عليه في قراءة الفاتحة.

بدأ بقراءة ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾ ثمّ لم يعد يستطيع أن يتمّ القراءة، ففتح عليه المُصَلُّونَ بقولهم ﴿الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ...﴾، فلم يستطع أن يكمل التّلاوة، ثمّ فتحوا عليه ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ﴾ فتابع...

س: أين ذهب علم هذا الشّيخ؟ وأين استقرّ حفظه؟

ج: اعلم أنّ الله تعالى قطع عنه المدد جزئيًّا في تلك الصّلاة؛ لأنّه لا مخلوق يعلم شيئًا بذاته.

وكلُّ العلوم مستمدَّة على الدّوام من الله تعالى بالقدر الّذي شاء. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾.

يفتح الله تعالى عليك بالعلوم الّتي يشاء أن يُعلِّمك إيّاها، ويُمِدُّك بهذا العلم. وأنت تعلم هذا العلم ما دام الله يُمِدُّك به، فإذا قطع إمداده عنك ونزع العلوم من قلبك، أصبحت لا تعلم من بعد علمك شيئًا.

ولقد رأينا من النّاس مَن منهم مرضى، ومنهم من ينسى فتُنزعُ العلومَ من قلوبهم.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[3].

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ إذًا الله تعالى هو العليم، وهو المُمِدُّ لمن شاء من خلقه، بما شاء من العلوم.

شرح معنى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾

عن أبي ذر الغفّاري ﷺ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَيُّ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ أَعْظَمُ؟، قَالَ: «آيَةُ الْكُرْسِيِّ» ثُمَّ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى الْحَلْقَةِ»[4].

الكرة الأرضيّة بالنّسبة إلى السّماء الدُّنيا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ في فَلَاةٍ.

وما الحَلْقَةُ؟ هي مِثْلُ: حَلْقَةِ الأُذُن. ألقِها في صحراء كبيرة، فكم تشكّل هذه الحلقة في صحراء كبيرة!!؟

وتشكل الكرةُ الأرضيّة مِثْلَ ذَلكَ من السَّماءِ الدُّنيا. والسَّماء الدُّنيا هي السَّماء الّتي فيها الكواكب والنُّجوم.

وما النّجوم؟ نحن لا نراها، ونحن لا نرى نجمًا في السَّماء وإنَّما نرى مواقع النُّجوم. كما قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾[5].

س: ما المقصود بمواقع النُّجوم؟

ج: إنّ النَّجمة الّتي تراها في السَّماء، لا تراها حقيقةً، وإنَّما أنت ترى موقعها، لأنّ هذه النَّجمة بعيدة عنَّا ألف سنة ضوئيَّة أو أكثر.

فمثلًا ضوء هذه النَّجمة خرج منها واحتاج إلى ألفي سنة حتَّى وصل إلينا فرأيناه. وخلال ألفي سنة ماذا حصل للنَّجمة؟ قد تكون تحرّكت، أو تلاشت. لذا فأنت لا ترى النَّجمة، إنّما ترى موقعها الذي كانت عليها منذ ألفي سنة. ووكالة "ناسا" لم تستطع حتّى اليوم أن تصل لأقصى سَمَاء الدُّنيا فهي واسعةٌ جدًّا.

(١) هو الحافظ للقرآن على القراءات العشر، وهو الّذي يُحَفِّظُ العلماء القرآن، ويمتحن الحفظة ويجيزهم أيضًا.
(٢) أي استغلق الكلام عليه كأنّه أطبق عليه، كما يُرتَجُّ الباب؛ التبس الكلام عليه.
(٣) سورة النحل، الآية: ٧٠.
(٤) رواه ابن حبّان في صحيحه، عن أبي ذر، حديث رقم: ٣٦١، كتاب: البر والإحسان، باب: ذكر الإستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ.
(٥) سورة الواقعة، الآية: ٧٥.

- فَمَثَلُ الكُرَةِ الأرضيَّةِ للسَّماءِ الدُّنيا كَحَلْقَةٍ في فلاةٍ.
- والسَّماءُ **الدُّنيا** بالنّسبة للسَّماءِ الأولى كَحَلْقةٍ في فَلاةٍ.
- والسَّماءُ **الأولى** بالنِّسبةِ للثَّانيةِ كَحَلْقةٍ في فَلاةٍ.
- والسَّماءُ **الثَّانية** بالنّسبة للسَّماء الثَّالثة كحلقة في فلاة.
- والسَّماء **الثَّالثة** بالنّسبة للسَّماء الرَّابعة كحلقة في فلاة.
- والسَّماء **الرَّابعة** بالنّسبة للسَّماء الخامسة كحلقة في فلاة.
- والسَّماء **الخامسة** بالنّسبة للسَّادسة كحلقة في فلاة.
- والسَّماء **السّادسة** بالنّسبة للسَّماء السَّابعة كحلقة في فلاة.
- والسَّماء **السَّابعة** بالنّسبة للكرسيّ كحلقة في فلاة.

وفي كلِّ سماء مخلوقات لا يعلمها إلَّا الله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[1].

س: ما الكرسيّ؟

ج: الكرسيّ هو: مخلوقٌ نورانيٌّ عظيم، وسع السَّماوات والأَرَضِيْن.

فالسَّماواتُ والأَرَضُونَ نُقْطَةٌ، والسَّماواتُ السَّبْعُ والأرضون كَحَلْقَةٍ في فلاةٍ بالنّسبة للكرسيّ. والكرسيّ كحلقةٍ في فلاةٍ بالنّسبة للعرش.

تنبيه: شكل الكرسيّ ليس إطلاقًا كما يظنُّ البعض أنَّه كرسيٌّ، وإنَّما سمّي "كرسيًّا" من تركُّب الشَّيء بعضه على بعض، فقد جمع الله تعالى فيه السَّماوات والأرضين، فتركّبت فيه، ومنه سمّي الدّفتر بالـ "**الكرّاسة**" لتركُّب أوراقها بعضهم على بعض. وسمّي "**الكرسيُّ**" من التَّكريس، أي: الجمع. والسَّماوات والأرض مطويَّاتٌ بيمينه. قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[2]

س: ما هو العرش؟

ج: العرش هو مخلوقٌ نورانيٌّ عظيم. خلقه الله تعالى، وجعله أوسع وأعظم المخلوقات، يحوي جميع المخلوقات بما فيها الجنّات والكرسيّ وما فيه من السّموات والأرض. فالجنّة فوق السَّماء السّابعة وسقفها العرش.

ومن المعلوم أنّ الله تعالى منزّه عن مشابهة خلقه، فهو تعالى منزّه عن الجهات، لأنّها من صفات الأجسام. والله تعالى مُنَزَّهٌ عن المكان، وهو تعالى خالق للمكان ولا يحتاج إليه، فليس الله تعالى فوق العرش، وليس الله تعالى جالسًا على العرش، لأنَّ جميع هذه الصّفات من صفات المخلوقات، والله تعالى ليس كمثله شيء، وإنَّما خلق تعالى العرش، والعرش يحوي المكان الّذي فيه المخلوقات.

ومن أسماء الله تعالى المتين، ومعناه أنّ الله تعالى ثابت قويّ لا يتغيّر.

س: لماذا سُمّي عرشًا؟

ج: لأنَّ الله سبحانه وتعالى جعلَ المخلوقاتِ في إحاطَةِ هذا العرش. والله تعالى موجودٌ قبل أن يخلق العرش. والله تعالى

(١) سورة المدّثّر، الآية: ٣١.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

لا يتغيَّر فهو المتين، وهو الآن على ما عليه كان. والله تعالى خالقٌ للعرش، ومالكٌ للعرش وما فيه. **فالعرش** وما حوى من المخلوقات كُلِّها تحت قُدْرَةِ الله تعالى، وبإمْدادِ الله تعالى، وبقيُّوميَّةِ الله تعالى عليهم، وبتدبيرِ الله تعالى لها. ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[1]، أي: تجلَّى على العرش وما حوى بالرَّحمة[2].

س: ما الرَّحمة؟

ج: الرَّحمة هي الإحسان وقضاءُ الحوائج.

فجميع المخلوقات من العرش إلى الكرسيّ إلى كلِّ المخلوقات في كلِّ السَّماوات وفي الأرض مفتقرة إلى الله تعالى، فالله تعالى يرحمها بالإحسان إليها بقضاء حوائجها.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾: فَعِلْمُ الله ﷻ واسع جدًّا... أحاط بكلّ شيء علمًا. وهو ﷻ على كلّ شيء قدير.

وبالتَّالي فنحنُ مَعشر النّاس على الأرض وكلّ ما يشاركنا فيها من مخلوقات، كُلُّ طائرٍ يطير بإمداد الله، وكُلُّ سمكة تسير في الماء بإمداد الله، والماء بإمداد الله، فالماء يحتاج إلى هيدروجين وأكسجين بإمداد الله تعالى، والهواء، والطَّائرات، والمصانع، والإنسان، والقلب، والشَّرايين، والدِّماء كلِّها، حتّى الأنفاس، والحركات، والسّكنات، حتّى أوراق الشجر كُلُّ ذلك بإمداد الله تعالى على الدَّوام فلا حول ولا قوّة لمخلوق إلَّا بالله.

فما من حركة ولا سكون إلَّا بخلق الله، تكون سواء على الأرض، أم على القمر أم على الشّمس أم النّجوم أم في السَّماء الدُّنيا، أم في السَّماءِ الثَّانية، ومخلوقات السَّماء الأولى، ومخلوقاتِ السَّماء الثَّانية والثّالثة وهكذا إلى السّابعة والكرسيّ، والعرشِ، والملائكةِ، كُلُّ هذا بنفس الوَقت كُلُّه بإمداد الله تعالى!

والله سبحانه لم يضع في الأشياء قوَّةً حتَّى تتصرَّفَ بِمُفْرَدِهَا، وإنَّما يَمُدُّها تعالى في كُلِّ لحظةٍ بكلِّ شيء... ألا يَدُلُّنا هذا على عَظمةِ الخَالِقِ ﷻ، وواسع قدرته وقُوَّتِه، وإحاطة علمه. فلا يؤودُه، ولا يُعْجِزُه إمْدَادُهم، ورزقهم، والقيامُ بشؤونهم، ولا يجد نصبًا ولا تعبًا في ذلك.

شرح معنى: ﴿وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾

أي: لا يُثْقِلُهُ، ولا يتعبه، ولا يَشْغَلُهُ حفظ السَّماوات والأرض والعرش والكرسيّ وما فيها. بل ذلك سَهلٌ عليه. فإنَّ الله لا يَشُقُّ عليه حفظ السّماوات والأرضين وما فيها من الكائنات، بل ذلك يسيرٌ عليه ﷻ.

وأي معنى قد تدركه مِنْ عَظَمَةِ الله تعالى، فالله أعظم من ذلك وأَجَلُّ، فلا يُحاط به ﷻ علمًا.

شرح معنى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

العليّ: أي كلَّما فتح الله عليك بفهم معنى من معاني عظمته وقدرته وعلمه سبحانه، أدركت أنَّ الله تعالى أعلى من ذلك بكثير عظمة وقدرة وعلمًا، فالله تعالى أعلى من أن يُدرَكَ. ﴿لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ...﴾[3].

(١) سورة طه، الآية: ٥.
(٢) كان الشيخ بدر الدّين الحسني مُحدّثُ بلاد الشام رحمه الله يُؤكِّدُ على تلامذته لأن يقولوا معتقدين ذلك: آمنا بالله وبما جاء من عند الله على مُرَادِ الله وآمنا برسول الله وبما جاءَ من عِندِ رسولِ الله على مُرَادِ رسولِ الله ﷺ.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

هو **العليُّ** جلَّ في عُلاه لا يُدرَكُ ولا يُحيطُ به عِلمٌ.

وهو **العظيم** الّذي لا تُدْرَكُ عظمَتُهُ، مُدَبِّرُ الخَلْقِ، ومُدَبِّرُ شُؤُونِ عِبادِه، ومُدَبِّرُ شؤونِ كُلِّ المخلوقاتِ في جميع الأوقاتِ لا يَشْغَلُهُ شيءٌ عن شيء، ولا يَشْغَلُه مخلوقٌ عن مَخْلوقٍ، ولا شأنٌ عن شَأنٍ.

ومن هنا أمرنا الله تعالى أن: نُسَبِّحَهُ بالرُّكُوعِ بِاسمِهِ العظيمِ فنقول **"سبحان ربّي العظيم وبحمده"**، من له كُلُّ شَيءٍ، وبيَدِهِ تدبيرُ كُلِّ شيءٍ في السّماواتِ وفي الأرض، فَلْنَلْتَجِئْ إليه في كُلّ ما أَهَمَّنَا مِن حَوائِجِنا الجَسَدِيَّة، أو النَّفْسيَّةِ، أو القَلْبِيَّةِ، أو الرُّوْحِيَّةِ، أو الدُّنيويّة، أو الدّينية فهو العظيمُ الخالقُ لكلِّ شيءٍ، والمالكُ لكلِّ شيءٍ، والقادر على كلِّ شيءٍ، والمُقَدِّرُ لِكُلِّ شَيءٍ ﷻ.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآية:

١. آية الكرسيّ أعظم آية في كتاب الله تعالى، اشتملت على ستّة عشر إسمًا لله تعالى ما بين ظاهر وضمائر ومضمر، وكلماتها خمسون كلمة، وجملها عشر جمل، كلّها ناطقة بربوبيّته تعالى وألوهيّته وأسمائه وصفاته الدالّة على كمال ذاته وعلمه وقدرته وعظيم سلطانه.

٢. تستحبّ قراءتها بعد الصّلاة المكتوبة، وعند النّوم، وفي البيوت لطرد الشّيطان.

٣. قوله ﷻ: ﴿**اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هوَ الحَيُّ القَيُّومُ**﴾، "الله" اسم تفرّد به الحقّ ﷻ، فلا سميّ له فيه. قال تعالى: ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾[٢] أي هل تعرف أحدًا غيره تسمّى "الله"؟.

٤. هذا اسم يدلّ على استحقاق صفات الجلال لا على اشتقاق الألفاظ.

٥. قوله: ﴿**لا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ**﴾: إخبار عن نفي النّظير والشّبيه، بما استوجب من التّقديس والتّنزيه. ومن تحقّق بهذه القالة لا يرى ذَرّةً من الإثبات بغيره أو من غيره؛ فلا يرفع إلى غيره حاجته، ولا يشهد من غيره ذرّة، فَيَصْدُقُ إليه انقطاعه، ويديم لوجوده انفرادَه، فلا يسمع إلا من الله وبالله، ولا يشهد إلا بالله، ولا يُقْبِلُ إلا على الله، ولا يشتغل إلا بالله، فهو

(٢) سورة مريم، الآية: ٦٥.

محوٌ عمّا سِوى الله، فما لَهُ شكوى ولا دعوى، ولا يتحرّك منه لغيره عِرْقٌ، فإذا استوفى الحقّ عبدًا لم يَبْقَ للحظوظ- ألبتّة - مساغ.

٦. هذه القالة تقتضي التّحقق بها، والفناء عن الموسومات بجملتها، والتّحقق بأنّه لا سبيل لمخلوق إلى وجود الحق ﷻ، فلا وصل ولا فصل ولا قُرْبَ ولا بُعدَ، فإنّ ذلكَ أجمعَ آفّاتٍ لا تليق بالقِدَم أو القديم.

٧. وقوله ﷻ: ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾: المتولّي لأمور عباده، القائم بكلّ حركة، والممدّ لكلّ عين وأثر. فلا حركة وسكون إلا بخلق الله تكون.

٨. ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ لأنّه أحديّ لا ترهقه غفلة، وصمد لا تمسّه علّة، وعزيز لا تقاربه قلّة، وجبّار لا تميّزه عزلة، وفَرْدٌ لا تضمّه جثّة، ووتر لا تحدّه جهة، وقديم لا تلْحَقُه آفّة، وعظيم لا تدركه مسافة.

تَقَدَّس مِنْ جمالِه جلالُه، وجلالُه جمالُه، وسناؤه بهاؤه، وبهاؤه سناؤه، وأزله أبده، وأبده سرمده، وسرمدهِ قدَمُه، وقدمه وجوده.

٩. قوله ﷻ: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وإبداعًا، وخَلْقًا واختراعًا.

١٠. ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾. من ذا الذي يتنفّس بنَفَس إلا بإجرائه، أو يتوسّل إليه من دون إذنه وإبدائه. ومن ظنَّ أنّه يتوسّل إليه باستحقاقٍ أو عمل، أو تذلّل أو أمل، أو قربة أو نسب، أو علّة أو سبب، فالظنُّ وطنه، والجهل مألفه، والغلط غايته والبعد قُصاراه.

١١. قوله ﷻ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ لأنّه لا يخرج عن علمه معلوم، ولا يلتبس عليه موجود ولا معدوم. يعلم ما كان وما يكون وأثر وما أدّى اليه كلّ شيء كان.

١٢. قوله ﷻ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ يعني من معلوماته، أي تقاصرت العلوم عن الإحاطة بشيء من معلوماته إلا بإذنه. فأيّ طمع لها في الإحاطة بذاته وحقّه؟ وأنّى تجوز الإحاطة عليه وهو لا يقطعه في عِزّه أَمَد، ولا يدركه حَدٌّ؟!.

١٣. قوله ﷻ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ خطاب لهم على قدر فهمهم. وإلا فأيّ خَطَرٍ للأكوان عند صفاته؟ جلَّ قَدْرُه عن التّعزّز بعرش أو كرسيّ، والتّجمّل بجنٍ أو إنْسِيّ.

١٤. قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ كيف تُتْعِبُ المخلوقاتُ مِنْ خَلْقِ الذرّة والكونِ بجملته له سواء؛ فلا من القليل له تَيَسُّر، ولا من الكثير عليه تَعَسُّر.

من أسماء الله الحسنى: الحـيّ

شرح الاسم: الحـيّ

قال تعالى: ﴿هو الحيّ﴾[1] معناه: لا غيره حيّ، لأنّ حياته ذاتيّة، واجبة بوجوب ذاته، باقية ببقائها، بخلاف حياة غيره، فإنّها مجازيّة فانية. فحياة الأكوان مستمدّة من حياته، وقيامها من وجود ذاته.

لهُ الإطلاقُ الكُلّي، أي سبحانه مطلقٌ عن كُلّ قيدٍ وشرط. حياتنا مقيّدة بالشّروط، تحتاج إلى هواء تحتاج إلى غِذاء تحتاج إلى دواء تحتاج إلى الكثير، أمّا حياتُهُ تعالى فمطلقة لا يحتاجُ إلى شيء. هو الغنيّ سُبحانهُ، وكُلُّ حيٍّ سِواه ليس حيًّا بذاتهِ، إنّما هو بمدد إسم الله الحيّ.

له النّفوذ الفعليّ بالكائنات، لأنّ اسم الله الحيّ يشملُ صفات المعاني السّبعة: وهي العلمِ والإرادة والقُدرة والسّمع والبصر والكلام.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

الحيُّ في صفة الله تعالى، هو الذي لم يزل موجودًا وبالحياة موصوفًا، أيّ من الممكن أن تكون موجودًا ولكن لست حيًّا، فالوجود شيء والحياة شيء آخر، كمثال الجماد. والميت هو الذي لا يملك فعلًا ولا إدراكًا ولا يسمع ولا يُبصر.

التّعلق باسم الله الحيّ:

أشار إليه رسول الله ﷺ بأنّه اسم الله الأعظم، وكان يُكثرُ من الدّعاء بـ"ياحيّ يا قيوم" إذا أصابه كرب، فيقول: "يا حيُّ يا قيّوم برحمتك أستغيث".

بالتّعرف على أنّه هو الحيّ الذي لا يموت والتّوكّل عليه، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾[1]. فلا تجعل أملك ولا توكّلك ولا اعتمادك إلا على الحيّ الذي لا يموت، فكلّ من عليها فان، فإذا جعلت أملك بفانٍ فُنِيَ.

لا تجعلوا آمالكم- للقاء الله تعالى- بثواب أعمالكم، فالأعمال تفنى. فإذا سألك الله تعالى عن الإخلاص فيه، فكن متوكلًا على الله حتّى تلقاه، وليكن سلاحك اعتقادك بأنّه تعالى واسع الرّحمة، واسع المغفرة وواسع العطاء والوداد. وليكن اعتمادك على الله في الدّنيا وفي البرزخ وفي الآخرة. فمن علامات الإعتماد على العمل نُقصان الرّجاء عند وجود الزّلل. فلا تعتمد على شيء، لا على مال ولا على علم ولا على إنسان، بل اجعل اعتمادك دومًا على الله الذي لا يُخيّبك، وتوكل على الحيّ الذي لا يموت، أليس الله بكافٍ عبده؟!

إنّ الفارق الأساسي بيننا وبين الماديّين من النّاس في الدّنيا، أننا نتعاطى الأسباب كما يتعاطونها ولكنّ قلوبهم معلّقةٌ بها، فإذا ذهبت الأسباب دخلوا في عالم الكآبة وما شابه، أمّا نحن فقلوبنا معلقةٌ بالله وليس بالأسباب، فإذا توفّرت الأسباب لا نفرح، وإذا امتنعت الأسباب لا نحزن، لأنّ قلوبنا معلّقةٌ بـ(**الحيّ**) الذي لا يموت، ونتعاطى الأسباب لأنّ الله تعالى أمرنا بتعاطيها.

أن تتعرّف على الله فيُحيي قلبك بنور المعرفة، فإذا تعرّفتَ على الله أحببتهُ، وإذا أحببتهُ تعلّقتَ به، وإذا تعلّقتَ به لن تتعلق بسواه فيصبحُ قلبك حيًّا، لذلك قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[2].

فنحنُ قُلُوبنا ميتة إلا إذا استجبنا لله وللرسول ﷺ، فاعلم أنّه لا إله إلا الله، فكُلّما ازددنا عِلمًا بمعاني لا إله إلا الله كُلّما ازددنا معرفةً به، وكُلّما ازددنا حبًّا به كُلّما ازددنا ثقةً به، وكُلّما ازددنا تعلُّقًا به سُبحانه ازددنا طاعة ووصولًا إليه.. إنّ قلوبنا بحاجة أن نُسقيها كلّ يوم بالصّلاة على النّبيّ الكريم، وبالأذكار اليومية التي هي سبب ضروريّ لحياة القلب، وإلا سوف تبقى في الحزن والمشاكل واليأس، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[3].

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾[4]. فمن ذكر الله تعالى عاش حياةً هنيّة.

بإحياء الجسد بالطّهارة، ومن المهمّ أن نواظب على الوضوء قدر الإمكان، وأن ننام على وضوء وذكر، فننال ثواب العبادة.

رسوخك في شهود حياته وحدها، حتّى تكون معه كالميت بين يديّ المغسّل، فإذا تحقّقت بهذه الخصلة، حيّيت روحك بحياته.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٨. (٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٤. (٣) سورة الزخرف، الآية: ٣٦. (٤) سورة طه، الآية: ١٢٤.

كلّ من واجهك حيّ بحياتك، حتّى تحيي بك البلاد، والعباد. فإذا حللت في بلد، تنزّلت الرّحمات وإذا دخلت بُستانًا، تنزّلت البركات، وإذا نظرت إلى إنسان أحيا الله بك قلبه.

من أسماء الله الحسنى: القيّوم

شرح الاسم: القيّوم

قال تعالى: ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلّا هوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾[1].

القيّوم مبالغة في القائم بالأمور، يقال: فلان قائم بهذا الأمر.

وهو الذي لا يزولُ ولا يحول فهو الباقي أبدًا. وهو المدبّر للمخلوقات بأسرها، والمتولّي لجميع الأمور التي تجري في العالم.

هو القائمُ بنفسه، القائمُ بتدبيرِ خلقهِ، الغنيّ عن كلّ خلقه، المُفتقر إليه كُل خلقه بِكُل شيء. ومَن عاشَ مع هذا المعنى عاشَ مؤمنًا موحّدًا مُرتاحًا من التّدبير لأنّ الله بيده كُلّ شيء.

إنّ الله هو القائمُ على كلّ نفسٍ بما كسبت حتّى يُجازيها بعملها من حيث هو عالمٌ بها، لا يخفى عليه شيءٌ منها.

الحيّ القيّوم من لهُ صفةُ كلّ كمالٍ وهو الفعّال لِما يُريد. **القيّوم** هو القائم على جميع شؤون خلقهِ على الدّوام. فما مِن حركةٍ ولا سكون إلا بخلقِ الله تكون. وكُلّ شيء خلقه الله تعالى قائم بالمدد الإلهي، فإذا قُطع عنهُ المدد تلاشى، لِذلك شرحَ الله تعالى إسمه **القيّوم** بقوله تعالى: ﴿اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ...﴾[2] فلو أنّ الله تعالى أخذتهُ سِنةٌ مِن نوم أي غفوة لِلحظة لتلاشى الكون بأكمله، لأنّ الكونَ قائمٌ بإمداد الله والله هو القائم عليه. يُمدّكَ الله بالنَّفَس لحظة لحظة، والله يمدّ قلبك بالنّبض لحظةً لحظة. فمِنهُ الإيجاد والإمداد جميعًا سُبحانه.

أن يسأله على الدّوام مَن في السّماوات والأرض مِن المخلوقات في كُلّ جزء لا يتجزأ من الأوقات إفتقارًا، تقولُ العين يا ربّ رُدّ عليّ بصري، وتقول الأُذن يا ربّ رُدّ عليّ سمعي، وهكذا جميع الخلائق هم في افتقار دائم إلى الله ﷻ.

إنّ صفة واسم الله **القيّوم** تختصر الصّفات السّلبية الخمسة وهي: القِدم، البقاء، مُخالفة الحوادث، القيام بالنّفس، والوحدانيّة، لأنَّ **القيّوم** هو الغنيّ القائم بنفسه وبِما أنّه قائمٌ بِنفسه، فلا يحتاجُ لشيءٍ من خلقهِ ولا يشبهُ شيئًا من خلقهِ، ولا يلحقُه زمان ولا مكان. فهو قديم باقي وكلّ شيء بحاجةٍ إليه على الدّوام فهو الواحد.

التّعلق باسم الله القيّوم:

بالإلتجاء إلى **القيّوم** دائم القيام بتدبير خلقه في إيصال المنافع ودفع المضارّ، بما أنّ الله سبحانه وتعالى بيده النّفع والضرّ وهو القائم على جميع شؤون خلقه، فلا تلتجئ إلا إليهِ لجلب المصالح ودفع المضارّ وجلبِ الأرزاق وأنواع الإرتقاء، فلا يتعلّق قلبك بِفُلان ولا بدواء ولا بسبب من الأسباب، بل يتعلّق قلبك بالله تعالى.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

أن تقطع قلبك عن التعلّق بالخلق لتصله بالخالق. فحسبُكَ من التوكل ألا ترى لِنفسك ناصرًا غيرَ الله، ولا لِرزقك خازنًا غيرَهُ ولا لِعلمك شاهدًا غيرهُ. فلا أحد يقدر أن ينصرك غير الله، ولا أحد يقدر أن يرزقك غير الله، وتكتفي بِعلمه عن أن يرى النّاسُ فِعلكَ. ومتى عَلِم المؤمن أنّ الله قائمٌ بأمرهِ استراح قلبه من الهموم ومن كدّ التدبير، واكتفى بقيّوميّته في كلّ شيء.

أن تفزع إلى الله في كُل أمورك كما يفزعُ الطّفل إلى والديه كُلّما إحتاج إلى شيء، قال تعالى: ﴿... فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[1].

من أسماء الله الحسنى: العليّ العظيم

شرح الاسم: العليّ

- هو المرتفع عن مدارك العقول ونهايتها في ذاته، وصفاته، وأفعاله.
- هو العالي القاهر الغالب للأشياء الذي قهر بعزّته وعلوّه الخلق كلّهم وغلبهم، فنواصيهم بيده وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، وما لم يشأ لم يكن فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأه الله لم يقدروا ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعوه ذلك، لكمال اقتداره ونفوذ مشيئته وشدة افتقار المخلوقات كلّها إليه في كلّ الوجود.
- علوّ المنزلة والتّنزيه
- إنّ الله تعالى أعلى من أن يتعبه شيء وأعلى من أن يشغله شيء عن شيء، لأنّ الله تعالى يمدّ مليارات وتريليونات من المخلوقات بإمداده على الدّوام. قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَؤُودُهُ﴾: أي لا يتعبه ولا يشغله دوام إمداد هذه المخلوقات، ودوام إعتماد هذه المخلوقات عليه، فإنّه ﴿الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾.
- علوّ القدر وهو علوّ صفاته وعظمتها، فلا يماثله صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلائق كلّهم أن يحيطوا ببعض معاني صفةٍ واحدةٍ من صفاته. قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾.

التّعلق باسم الله العليّ:

طلب رفع همّتك إليه، وجعل اختيارك وقفًا عليه، حتّى لا تختار سوى الوصول إلى رضاه، ولا تعتمد في كلّ أحوالك إلا عليه. فلتكن همّتك عليه، ولتطلب أن تكون من المقرّبين ومن الله ﷻ. والسّابقين السابقين، ولا تطلب من الله تعالى أن تكون من أهل اليمين.

من أسماء الله الحسنى: العظيم

شرح الاسم: العظيم

- الله عظيم القدر، جليل الأوصاف.
- العظيم هو سبحانه ذو العظمة والجلال، فهو عظيم الشّأن جليل القدر، لا شيء أعظم منه سبحانه، وليس لعظمته بداية ولا لجلاله نهاية.
- العظيم هو سبحانه ذو القدرة الغير متناهية على فعل ما يريد.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٠.

- العظيم هو ما لا يستطيع العقل أن يدركه.

التّعلّق باسم الله العظيم:

- بالالتجاء إليه بالذلّة والإنكسار في أن يعظم قدرك، وبالإنخراط في سلك الصّالحين والأبرار بأن يعظم همّتك في التّرقّي إلى مقام العارفين، أهل الرّسوخ والتّمكين.
- التّذلّل والافتقار وتعظيم الله بأن تستحضر عظيم قدرته وعظيم خلقه، وأن الله قادر أن يعطيك كلّ ما تريد، ويرفع قدرك إلى أعلى تقدير أو أن يؤلمك ويعذّبك في الدّنيا وفي الآخرة ويمنع عنك، فهو فعالٌ لما يريد.
- كلّما عَظُم الله في قلبك، كلّما عظّم الله قدرك ومنزلتك في الدّنيا والآخرة.
- الركوع محلّ التعظيم والتعظيم بأن ترى أن كل حاجاتك عند العظيم فتسأل الله تعالى حاجتك من غير سؤال تعرضاً فتقول (سبحان ربي العظيم وبحمده، سبحان ربي العظيم وبحمده، سبحان ربي العظيم وبحمده، يا من بيده شفاء ولدي، يا من بيده قضاء ديني، يا من بيده هداية ولدي، يا من بيده دفع هذا الظالم عني)، هكذا تقول في الركوع وفي السجود محل التسبيح فأي شيء تحصل معك في حياتك أو أحد زعجك أو شكلك يزعجك أو فلان، في السجود تقول (سبحان ربي الأعلى وبحمده، سبحان ربي الأعلى وبحمده، سبحان ربي الأعلى وبحمده، من قدّر عليّ أن يكون شكلي هكذا، ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾، من قدّر عليّ وفاة والدي ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، رضيت بالله رباً) هذا نقوله في السجود، وإذا فلان أذاك وقهرك تحلّها في السجود فتخرج من السجود مرتاحًا كما كان يقول ﷺ: «يا بلالُ أقِمِ الصلاةَ، أرِحْنا بها»[1].

ما حكم من قال أنّ الله تعالى موجود في كل مكان بذاته؟

أمّا القول في أنّ الله تعالى موجود بذاته في كلّ مكان، فهذا عين الكفر وهذا كفر أشدّ من كفر النّصارى الذين جعلوا الله تعالى يحلّ بعيسى عليه السلام وهو مخلوق. فخلطوا ما بين الخالق والمخلوق، لذلك كفروا كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[2]. فما بالك بإنسان يقول إنّ الله تعالى يحلّ في كلّ مكان، فهذا محال. ولكن هناك من عباد الله الصّالحين من يشعر أنّ الله تعالى معه دومًا هو بمعيّة اللهِ، أي بإمداده وبمراقبته وبألطافه. فإنّ ألطافه سبحانه وتعالى لا تنفكّ عن مخلوق أبدًا. وهذا ما سنشرحه الآن. ولكن نريد أولًا أن نفهم أنّ الله موجود بلا مكان. قولنا إنّ الله تعالى موجود بلا مكان، فلا يظنّن أحدٌ أنّ الله تعالى موجود في مكان اسمه اللّامكان، حاشاه سبحانه وتعالى. فالمخلوق جوهر يحتاج إلى مكان، أمّا الخالق فهو الذي خلق المكان فلا يحتاج إلى مكان. وهو ليس بمكان اسمه لا مكان، بل معناه أنّ الله موجود. كان الله ولم يكن شيء آخر موجود معه. ثمّ خلق تعالى المخلوقات وقبل أن يخلقهم لم يكن هناك شيء، لا مكان ولا زمان لم يكن إلا الله سبحانه وتعالى ولم يكن شيء معه.

بعد أن خلق الله تعالى السّماء والأرض والعرش بقي على ما كان عليه، لأنّ الله تعالى لا يتغيّر. كان بلا مكان وهو الآن على ما عليه كان. الله تعالى موجود دومًا وما سواه مفقود، وهو سبحانه الآن على ما عليه كان. سنشرحها بعد حين إن شاء الله تعالى.

ملاحظة: المخلوق هو كلّ ما سوى الله.

(١) صحيح أبي داود. (٢) سورة المائدة، الآية: ١٧.

الإيمان بعالم الآخرة ومواقعها

﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[١].

فطلب الشّفاعة "هي انضمام الأدنى إلى الأعلى؛ ليستعين به على ما يرومه"[٢]، أي في جلب منفعة أو دفع مضرّة عن المشفوع به.

والشّفاعة عند الله تعالى لا يتقدم إليها أحد إلا بإذنه سبحانه، فهو سبحانه يأذن لمن يشاء ويشفّعه بمَن شاء.

والشّفاعة يوم القيامة على أنواع متعدّدة: أوّلها وأعظمها وأعمّها: الشّفاعة العظمى، وتسمّى الشّفاعة الكبرى وهي الشّفاعة العامّة التي تعمّ جميع أهل الموقف على مختلف أديانهم، وبها يتخلّصون من أهوال الموقف وكرباته بعد اشتدادها وطولها، ثمّ ينفضُّ أمرهم إلى عالم العَرْض والحساب والميزان. والشّفاعة العظمى هي من خصائص سيدنا محمّد ﷺ، وهي أوّل الشّفاعات، وهي باب الشّفاعات كلّها وهي المقام المحمود الذي يقوم به ﷺ كما وعده الله تعالى بذلك. وإنّما سمّي مقام شفاعته ﷺ العظمى مقامًا محمودًا، لأنّ أهل الموقف كلّهم: برّهم وفاجرهم، سعيدهم وشقيّهم يحمدون رسول الله ﷺ، ويثنون عليه لما يشفع بهم وينقذهم من أهوال الموقف وشدائده.

في الأمر والنّهي

العمل بالآية:

- اقرأ آية الكرسيّ بعد الصّلوات المفروضة؛ فإنّه لا يكون بينك وبين الجنّة إلا أن تموت، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.
- اقرأ آية الكرسيّ في الصّباح عندما تخرج من بيتك، وفي المساء وعند النّوم يحفظك الله بها من الشّيطان، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

في الأخلاق والآداب

التّخلّق باسم الله الحيّ:

- بأن تستحيي من فعلِ كلّ قبيحٍ وتسارعَ إلى فعلِ كلّ مليحٍ.
- بأن تستحيي مِن الله الّذي أغدقَ عليكَ بالنّعمِ وأنت قابلتَهُ بالغَفلةِ والمَعصيةِ.
- وتستحيي مَن النّاسِ أن يروكَ تفعلُ ما يُعابُ.
- وتَستحيي مِن نفسِك أن تفعلَ ما لا يتوافقُ معَ قِيَمِكَ وَمَبادِئِكَ.
- أن تكون سببًا في حياة إنسان "ومن أحياها فكأنّما أحيا النّاس جميعًا".
- كُن دائمًا ممّن يُحيي سُنن الرّسول الكريم وسُنّة الأخلاق المُحمّديّة في كُل موضع ومكان. قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ»[٣]. وأن تسعى بذلك لجيرانك وأقاربك وأحبابك وابدأ بنفسك أولًا، فيكون لهم وِرد يوميّ ثابت للصّلاة على سيّدنا محمّد ﷺ.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٢) ذكره الزرقاني في شرح الزرقاني على المواهب اللدنية، باب: في أمور الآخرة، ج١٢، ص٣٤١.
(٣) رواه إبن بشران في الأمالي، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ٥٠١، باب: مجلس في جمادى الأولى سنة سبع وعشرين.

- أن تعمل صدقة جارية أو تكون سببًا في نشر الهداية أو نشر العلم.
- أن تعيش كمشروع شهادة، أي أن تستعدّ للقاء الله في كلّ وقت، فلا تنام إلا على وضوء وذِكر ومُسامحة العباد، لأنّ النّوم هو الموتة الصغرى، فنقول قبل النّوم كما علّمنا نبينا الكريم ﷺ: «بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»[1].

التّخلّق بإسم الله القيّـوم:

- بأن تكون قيّمًا على ما كُلّفت به، من أهل وولد ونفس ومال وكلّ من تعلّق بك من النّساء والرّجال، فتقوم بما أمركَ به واسترعاك عليه، قال رسول الله ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[2] فعلى الرّجل أن يُصلح نفسه بالطّاعة، ويُصلح أهله إصلاح الرّاعي للرّعيّة. فإيّاك ثمّ إيّاك أن تُضيّع هذه الأمانة.
- اعلم أنّ المسؤوليّة تقع على كلّ فردٍ من أفراد الأُمّة الإسلاميّة. فالذّنب الآن بالمُصطلحات الجديدة، على الحُكام، والوزراء... فالإسلام يخاطب الرّعيّة فيقول: أنتَ يا قاضٍ، وأنتَ يا مُهندس، وأنتَ يا مُحامٍ، وأنتَ يا تاجر، وأنتَ يا طبيب هل أحسنتَ رعايةَ ما أقامك الله عليه؟ فإذا فسدت الرّعيّة فسدَ الحاكم، لأنّ حُكامكم عملُكم، «كَمَا تَكُونُوا يُوَلَّى عَلَيْكُمْ»[3]، ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾[4].
- لذا يجب أن نتغيّر، ونبدّل أخلاقنا كي نعوّد أنفسنا على الصّدق والأمانة والوفاء بالوعد، وننبذ الأنانية كي يتغيّر حالنا، فيغيّر الله حُكّامنا.

قال رسول الله ﷺ: «مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»[5] لأنّه إذا بلغ عشرًا صار تركه للصّلاة أعظم، فيُعذّب الأبوان لأنّهما أُمِرا أن يعلماه الصّلاة ويضرباه عليها فلم يفعلا، وبذلك يكون قد جنيا على أنفسهما حيث تركا ما أمرهما الله بأن يفعلاه مع أولادهما. لذا كان حقّ على المسلم أن يُعلّم أهله وأولاده الدّين والخير وما لا يُستغنى عنه من الأدب، وأن يأمرهم بما أمر الله، وينهاهم عمّا نهى الله.

التّخلّق باسم الله تعالى العليّ:

- تخلّقوا باسم الله العليّ فالله يجعل لكم العلوّ في الأرض.
- كُن مع الله يُعلي قدرك في الدّنيا والآخرة.
- بالجنوح إلى معالي الأمور والتّعالي عن سفاسفها.
- العمل بالهمّة العليّة: المتخلّق باسم الله العليّ هو صاحب همّة عليّة وصاحب معالي الأمور. فهو دائمًا يرى الأشياء المهمّة، والأشياء العالية.

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٦٣٢٠، كتاب: الدعوات، باب: التعوذ والقراءة عند المنام.
(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عبد الله بن عمر، حديث رقم: ٨٩٣، كتاب: الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن.
(٣) رواه السيوطي في الجامع الصغير، عن أبي بكرة، حديث رقم: ٦٤٠٦، باب: حرف الكاف.
(٤) سورة الرعد، الآية: ١١ .
(٥) رواه أحمد في مسنده، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، حديث رقم: ٦٧٥٦، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند: عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، الحديث إسناده حسن.

قال سيّدُنا عليُّ بن أبي طالب ﷺ: علوُّ الهمَّةِ من الإيمان، أي: أن يكون الإنسان ذا همَّة عليَّة، هذا من الإيمان.

أمثلة عن الهمّة العليّة:

١- العمل لإخراج الزكاة: عندما تعمل بالتِّجارة، وتكون نيَّتُك أن تُخرج مالًا وتزكّي وتنفع خلق الله، أنت في معالي الأمور.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾[1].

٢- إدخال السّرور على قلب إنسان: عندما تُدخل سرورًا على قلب إنسانٍ، كما ذكر النَّبيُّ ﷺ، أنت في معالي الأمور.

قال النَّبيُّ ﷺ لمّا سُئل مَن أحب العباد إلى الله تعالى؟ «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذا المَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ- المَدِينَةِ شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضاهُ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجاءً يَوْمَ القِيامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدامِ»[2].

فكم نستطيع أن نُدخل السُّرور على قلب المسلمين، وكم نستطيع أن ننفع النَّاس. وكل ذلك نحن قادرين أن نفعله للتخلّق باسم الله العليّ.

٣- العمل على نشر دين الإسلام بين العباد جميعًا، وإحياؤه على ما كان عليه في زمن النَّبيّ الأكرم ﷺ. وهذا من أعلى مراتب الهمّة العلية.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[3].

التخلق باسم الله العظيم يكونُ:

- بتعظيمِ الله تعالى في القلب، وكلّ ما نُسِب إليه من شعائر دينه، وكلّ ما أمَرَ الله ﷻ بتعظيمِهِ، فتعظيمُ شعائر الله تعالى مِنها تعظيمُ الأخلاقِ والقِيَمِ.
- بأن تتعاظم عن كلّ وصف ذميم، وتتخلّق بكلّ وصف كريم.
- بأن ترفع همتك عن المخلوقين، غنًى برب العالمين.
- أن يستخدمك الله في نشر دينه، ونشر الأخلاق المحمّدية ونشر الأسماء الحسنى، فهذه هي الوراثة النّبويّة. روي عن عليّ ﷺ أنّه قال: "مَنْ عَلِمَ وَعَمِلَ وَعَلَّمَ دُعِيَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ عَظِيمًا"[4].
- أن يستخدمك الله تعالى في قضاء حوائج العباد، أو نشر السّلام في العالم، فكلّ من نذر نفسه لخدمة الله ورسوله ﷺ، فهو عند الله عظيم وهو منسوب إلى عظيم.

التوجيهات:

- تذكّر دائمًا أنّ الله يراقبك في السرّ والعلن، ويعلم ما تخفي وما تعلن، فيُعينك ذلك على الحدّ من اقتراف المعاصي، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٤.

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، عن ابن عمر، حديث رقم: ١٣٦٤٦، باب: العين، عمرو بن دينار عن ابن عمر.

(٢) سورة الصف، الآية: ٩.

(٣) رواه إبن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، عن علي، حديث رقم: ٧٩١، باب: جامع لنشر العلم روى سهل بن سعد.

في السّيرة والشّمائل

رسول الله ﷺ يوم المعراج:

خلال رحلة المعراج، رأى رسول الله ﷺ سدرة المنتهى من الجمال والروعة والأنوار، ما لا يتصوّره عقل، ومن شدّة أنوارها وجمالها، وصفها القرآن بقول الله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾[1]، ووصف القرآن النبيّ الأكرم بقوله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾[2]، أي ما التفت إليها ﷺ، وما نظر ﷺ إليها، لأن هدفه ﷺ واحد، ألا وهو رؤية الله تعالى، فامتدحه الله ﷻ بقوله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾[3]، فالنّبيّ ﷺ همّته عليّة لا يريد إلا الله تعالى.

في السّلوك

الإشارة: من عرف أنّه الحيّ القيّوم وثق به، ونسي بذكره ذكر كلّ شيء، ولم يشاهد غيره بمشاهدة قيّوميّته. ومن عرف أنّه الحيّ الذي لا يموت توكّل عليه وتعلّق وتخلّق به، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[4].

والتّعلّق به يكون باستمداد حياة الرّوح بالعلم والمحبّة الكاملة، ومعرفة قيّوميّته حتّى تستريح من نكد التّدبير.

والتّخلّق به بأن تكون قائمًا على ما كُلِّفْتَ به من أهْلٍ وَوَلَدٍ ونَفْسٍ ومَالٍ، وكُلِّ من تعلّق بك من النّساء والرّجال.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

من الأذكار المستحبّة بعد كلّ صلاة مفروضة:

- أستغفِرُ الله العظيمَ الَّذي لا إلهَ إلَّا هُوَ الحيَّ القيّوم وأتوبُ إليه.(٣ مرّات).
- اللّهُمَّ أنتَ السّلامُ ومِنْكَ السّلامُ، تباركْتَ وتعالَيْتَ يا ذا الجلالِ والإكْرامِ.
- اللّهُمَّ أعنّي على ذكرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتِكَ.

ثم تقرأ آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾.

- ثُمَّ تقرأ سورةَ الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوّذتَيْن ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾. (كلّ ذلك ٣ مرّات).
- تكرّر سبحانَ الله (٣٣ مرّة)، الحمدُ لله (٣٣ مرّة)، الله أكبرُ (٣٣ مرّة).

وتمام المئة: لا إلَهَ إلَّا اللهُ وحْدَهُ لا شريكَ لهُ، لهُ الملكُ ولهُ الحمْدُ وهُوَ على كُلِّ شَيءٍ قَدير، بنيّة أن تُغفر ذنوبك ولو كانت كزبد البحر.

- ثم تدعو بما تشاء.
- ومن أجمل وأجمع الأدعية، الدّعاء الذي علّمه نبيّنا مُحَمَّدًا ﷺ للسيّدة فاطمة رضي الله عنها: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»[5].

---

(١) سورة النَّجم، الآية: ١٦. (٢) سورة النَّجم، الآية: ١٧. (٣) سورة النَّجم، الآية: ١٧. (٤) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.
(٥) رواه الحاكم في المستدرك، عن أنس بن مالك، حديث رقم: ٢٠٠٠، كتاب: الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر، باب: وأما حديث رافع بن خديج، الحديث صحيح.